كلية : الآداب

القسم او الفرع : التأريخ

المرحلة: الرابعة

أستاذ المادة : أ.د احمد صالح خليفة

اسم المادة باللغة العربية : تأريخ افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : History of Africa

اسم المحاضرة الخامسة باللغة العربية: استغلال الأفارقة

اسم المحاضرة الخامسة باللغة الإنكليزية : Exploitation of Africans

إذا كان كشف القارة الأفريقية وإلقاء الضوء عما بداخلها يمثل صفحة بيضاء في العلاقات الأفريقية الأوربية ـ فإن اتجاه الأوربيين للاستعمار والاستحواز على مساحات واسعة من القارة وتسخير الأفارقة وخيرات بلادهم لتحقيق الرفاهية للأوربيين يمثل صفحة سوداء في تاريخ العلاقات الأوربية الأفريقية. والإستعمار ظاهرة قديمة حتى أننا يمكن أن نقول أن جذورها تضرب في أعماق التاريخ إلى مدى بعيد، وقد شهد العالم القديم قيام أمبراطوريات استعمارية ضخمة كالأمبراطورية الرومانية، وكأمبراطورية الإسكندر المقدوني . لكن الاستعمار الأوربى فى أفريقيا الذي برز بنوع خاص في القرن التاسع عشر تطور في أساليبه ووسائله وأهدافه والنتائج التي ترتبت عليه حتى خيل للبعض إنه ظاهرة جديدة مرتبطة بالقرن التاسع عشر فحسب، ولذا فلابد من الوصول لتعريف دقيق للاستعمار في شكله الجديد يتطبق على هذه الظاهرة التي برزت في نشاط الدول الأوربية في أفريقيا.

المقصود بالاستعمار

تعددت التعاريف التي ذكرت للاستعمار في العصر الحديث فالبعض عرفه بأنه يعنى سيطرة جماعة على جماعة أخرى . و عرفه .د كوامي نكروما بأنه سيطرة دولة على دولة أخرى واستخدام هذه الدولة المستعمرة قوتها الصناعية المتفوقة لإخضاع شعب آخر، واستغلاله فالاستعمار من وجهة نظر .د. نكروما هو السياسة التي بها ترتبط وتقيد الدولة الأم مستعمراتها وتوجيهها من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية الخاصة (١) اقتصادياً.

وهذا التعريف وغيره من التعريفات المتعددة التي ذكرت للاستعمار ليست وافية بحيث تشمل جميع أشكال الاستعمار الحديث ووسائله وأهدافه.(١) كوامي إكروما نحو تحرير المستعمرات الترجمة عبد العزيز عتيق ١٩٥٨ ـ ص ٤٨ ولعل تعريف الأستاذ الدكتور (محمد عوض محمد) هو التعريفات شمولاً فقد عرف الاستعمار بأنه : العمل أو مجموعة الأعمال التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة أو جماعة منظمة من الناس على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم، أو على سكان تلك الأرض أو على الأرض والسكان في آن واحد» (١). فالأعمال المشار إليها قد يكون منها استخدام القوة الحربية، وقد تحدث السيطرة على الأرض بشرائها بطرق منها عوامل الضغط . والنص على الدولة أو جماعة منظمة من الناس قصد به أن يشمل الإستعمار . الأعمال التي قامت بها الشركات التي تألفت في العصور الحديثة مثل الشركات الإستعمارية الألمانية التي أسسها كارل بيترز (Peters) وشركة الهند الشرقية البريطانية وغيرها من الشركات العديدة التي كثرت في العصر الحديث وقامت بأعمال إستعمارية عنيفة فى شرق أفريقيا وكثيراً ما مهدت الحكوماتها لبسط نفوذها على الأماكن التي كانت قد ارتبطت بها هذه الشركات والإشارة إلى أن التسلط قد يقع على الأرض فقط عادة لا يحدث إلا في بلاد

خالية من السكان أو في حكم الخالية من السكان . يرجع أما أن السيطرة قد تقع على السكان دون الأرض فيكون ذلك بترك الأرض ومرافقها للسكان الأصليين لإستقلال أراضيهم، وهذا عكس ما حدث في شرق القارة حيث تسلط المستعمرون على الأرض والسكان والسبب لا لميزة إمتاز بها مستعمرو الغرب - لكن الأمر يرجع إلى أن أرض شرق أفريقيا المرتفعة تصلح لسكنى الأوربيين بينما أرض أفريقيا الغربية منخفضة شديدة الحرارة لا تلائم سكنى المستعمرين الأوربيين فسيطروا على السكان .
وكما حدث أيضاً في القرن الخامس عشر حين قامت الدول الأوربية بالاسيتلاء على مناطق السواحل الأفريقية أقامت فيها الحصون والمراكز التجارية

من أجل تجارة الرقيق. وهذا التعريف كما نرى شامل وعملى يسهل قياس الصور المختلفة التي تقابلنا على أساسه. والرق من أبشع أنواع الاستعمار فهو استبعاد للإنسان واستغلال له سواء في بلده الأصلى أو نقله عنوة للعمل في بلاد أخرى لتحقق الرفاهية للمستعمر الغريب، ويختلف هذا بالطبع عن الهجرة الإختبارية . وقد يتبادر للذهن سؤال هام هو هل يدخل ضمن الاستعمار النفوذ الاقتصادي أو الثقافي؟ . والسليم أن المشروعات الثقافية والاقتصادية إذا لم تؤد إلى بسط النفوذ السياسي أو تكون نتيجة نفوذ سياسى فهى ليست من الاستعمار في شيء. فاستخدام رؤوس الأموال الأجنبية أو إنشاء معاهد ثقافية أجنبية في بعض البلاد إن لم تكن نتيجة تسلط أجنبي أو يترتب عليها هذا التسلط أي تكون ذريعة للتسلط فإنها لا تدخل تحت تعريف الاستعمار . ولكن إذا أتخذت البعثات العلمية أو الدينية كما حدث في أحوال كثيرة ذريعة تتذرع بها الدول لبسط سلطانها السياسي على قطر أو كتمهيد لاحتلاله فهذا بالطبع عمل استعماري. وواضح أن الفرق والحد بين الاثنين الاستعمار والاستثمار يتمثل في خيط رفيع دقيق والأمر يحتاج ليقظة وتدقيق للتفريق بين الاثنين . دوافع الاستعمار الأوربي لأفريقيا وتطورها مع أن الاستعمار الأوروبي الحديث لأفريقيا بدأ في القرن الخامس عشر - إلا أن الأوروبيين اكتفوا في القرون الأولى من استعمارهم باتخاذ نقط ساحلية أو الاستقرار في بعض الجزر القريبة من الساحل - لكن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقبيل نهاية هذا القرن على وجه الخصوص ظهرت دوافع جديدة أدت إلى النهم الاستعمارى فأخذت الدول الأوروبية تتوغل في داخل أفريقيا وأراد بعض ساسة أوربا إيجاد أسس تتحرك في إطارها هذه الدول وهى تعمل لمد نفوذها لمناطق جديدة في القارة.